

## إذا زاغت العقائد...

بقلم شوقي خير الله

إذا زاغت العقيدة فارتقبوا الساعة!!

وما قصدنا سوى العقائد الصحيحة، وسوى العقيدة الأصحّ. واللهمّ قنا الكبرياء!

وليست تندمج العقيدة الصحيحة أبداً وقطّ بأيّ طائفة ولا مذهب ولا دين .

في الأديان، وفي المذاهب، يتدخل "الوحي" في التشريع وفي التوكيل وفي صحّة القول، وينتقي دور المؤمنين، فما هم إلا أداة إيمان وتأمين. فلا دور للعقل ولا للولاء القومي، ولا للولاء القومي الاجتماعي. ففي العقيدة الصحيحة عندنا ينتقي دور الحماسة الإلهية المفتعلة، وينتقي دور الملهمين، ويبقى الوعي القومي المرید الخیر العام هو المقياس والمسبار والميزان. ويبقى العقل هو القاعدة وهو القانون وهو المحكمة. فلا الوحي يتداخل مع المجتمع، ولا العصمة والمعصومون. فالإيمان هو العقل، وهو المؤمنون جماعة، وهو المصلحة القومية العليا.

ألا تلك هي الحدود الفاصلة ما بين عقيدة علمانية وبين دين، وإذن ما بين سلطة منزلة فلا اعتراضَ عليها وبين عقل حاكم، وقانون قائم وموضوع، وبين قَسَمٍ يحمي الولاء ويقوننه، ثم يولد سلطة المؤمن، وسلطة الشورى، وسلطة الأكثرين.

إنهما عالمان لا يلتقيان في حياة الارض والناس، ولا يجوز لمؤمن حقيقي إلا أن يطيع. وهو حرٌّ إذا تمرّد.

وهنا ينتصب السؤال: نطيع مَنْ وماذا؟ ولماذا؟ ومَنْ حَكَمَ مُدَّعِي العِصْمَةِ والكمال؟

نحن القوميون الاجتماعيون نؤوب الى العقيدة الحكيمة والقابلة للتجدد والخاضعة لرأي المؤمنين. فليس عندنا قول منزل، ولا بشر تلقوا الوحي. فالمعصوم هو الجماعة الحرة، والانضباط الراقى، والعقل.

وثمة الفرق الجوهرى ما بين أرضيين يتوقون الى رفع الجميع معهم الى العلى القومي الاجتماعي، الجماعي، والمنصوص. وأما السوى، الآخرون، فلديهم نصوص ولديهم معصومون خلقة، ولديهم رتب ومراتب.

فالدنيا اثنان كما يقول أبو العلاء المعرّي والمتنبي وديك الجن وابن رشد، وقبلهم قال الامام علي "الناس: عاقلٌ يدرك إيمانه، أو فمؤمن لا يعقل جميع ما يقال له." وثمة المفارقة.

نحن عقال عاقلون، ونؤمن بما نعقل، وبما ينبغي أن يحصل وأن يكون. ولا ننكر على المؤمن الآخر حرّيته في ما يؤمن به. ولكننا لا نسمح له بالتدخل القوميّ فيما نحن نتبعه من المنطق والصلاح، ومن إدراك وتقدير للمصلحة القومية العليا. ولسنا، بحال من الأحوال، متقيدين بأدعياء الوحي والاستيحاء. نحن ذوو عقل جماعي ناتج عن يقيننا بأننا = جماعة منظمة = لقادرون أن ندرك ونفكر، وأن نقدر وأن نستوعب، وأن نقرر ما مصلحة الجماعة، والوطن، والأمة، والعروبة.

بلى، نحن = الواحد والجماعة = نحن إنسان جغرافي تاريخي عقلائي. ونحن أتباع / خلاقون / لمذهب وعقيدة ونظام وقاموس متكامل أبدأ، ومستنير أبدأ، بمبدأ المدرحيّة المنقذ من الضلال ومن الخيانة ومن الخطأ ومن العمالة ومن الزوغان.

فالإنسان عندنا عاقل ومنظم ومنظم، ومطيع، ولكنه متمرد بالحق، وثنائر للشرف القومي اذا أهانه عدوّ أو محتلّ أو مطلق مستعبد ظلام. وإذاك لا ننتظر سوى إشارة لتنفيذ ما استتبط العقلُ فيما من وجوب ثورة أو رفض أو تمرّد وقتال .

وما أطعنا يوماً منافقاً كشفنا نفاقه .

وبلى!! لقد نخطئ لأننا بشر وضعفاء ولسنا آلهة بالرغم من أن الشعراء منّا قد سبق وقالوا = كلّ طفل في بلادي عبقرٍ أو نبيّ. فقال الزعيم للشاعر: يا عليّ، يا رفيقي، لقد اختصرت النهضة. والشاعر هو عليّ شلق، رحمة الله عليه.

وتلكنّ واحدة من زكريات لأحاديث، ومن تجليات للروح القومية، والقومية الاجتماعية، المهدّبة بأداب الوعي، والجهاد، والسعي الى نهضة لعلها حوتّ الأفضل .

وبعد،

هل تزيغ عقيدة حقّ؟

بلى تزيغ!! بل ترتجع الى الجاهلية الأولى! بلى تتنكس! وبلى يستفيق النشامى الى المأساة، فيرفضون المأساة، ويقلبون النكسة، ويصلحون ويقومون.

وتعود المسيرة الى الصراط المستقيم، ويعود العقل يسوس الحياة، ويعود الوعي ينظف الرواسب التي طالما نشأت من وعثاء الطريق، ومن ضعف الانسان، ومن ظلم الدهر.

حديث شريف مرفوع قال = "لا تسبوا الدهر! الدهر هو الله". ولعلّ أحاديث مثله تختصر  
الايمان والعقل والتمرد والتجود في مسيرة البشرية.

وإذا ما تحاشيتُ اللاهوت والفقہ والفلسفة، فلأننا في القومية الاجتماعية نوالي العقل الذي  
هو شرفنا، والذي هو الشاهد الأعظم على ألوهة المجتمع المنظم.

وتحيّ أمّنا !!